# العربية لغة التعليم و الدواوين و التجارة في إفريقيا، دولة تشاد نموذجا

**الدكتور حقار محمد أحمد**

محتويات البحث:

المقدمة

**بدايات انتشار اللغة في تشاد**

وضع اللغة العربية فيما يعرف بتشاد اليوم من عام 666م إلى عام 1894م

اللغة العربية في ظل الاستعمار الفرنسي من 1894م – 1960م

اللغة العربية في المواثيق و الدساتير الوطنية في تشاد منذ الاستقلال إلى هذا اليوم

اللغة العربية لغة الشعر و الأدب

الثنائية اللغوية: الواقع و المأمول

الخاتمة

## ملخص البحث:

### المقدمة:

إن علاقة اللغة العربية بالقارة الإفريقية قديمة قدم الهجرات العربية من الجزيرة العربية إلى شرقي القارة أو شمالها الشرقي منذ فجر التأريخ خصوصا بعد انهيار سد مأرب، و هذه الهجرات مزجت الدم العربي بالدم الإفريقي و اللغة العربية باللهجات الإفريقية الكثيرة التي تحولت إلى لغات بفضل الحرف العربي مثل السواحيلية و الهاوسا و البامبرا و الفلاتية الغنية جدا بالمفردات العربية، و مع مرور الزمان أصبحت اللغة العربية لغة الدواوين و التعليم و التجارة في كافة أرجاء القارة، و صل هذا التقدم ذروته بانتشار الإسلام الذي اتخذ من القارة أرض الهجرة الأولى و انتشرت معه مظاهر الرقي الفكري و التحضر و الصفاء و العدالة الاجتماعية و الرحمة و الإنسانية و التسامح و النزاهة في المعاملة التجارية و الصدق و الأمانة، و هذا التطور الإيجابي في حياة الإنسان الإفريقي ساهم في قبول الإسلام ثم اعتناقه على نطاق واسع من قبل الأفارقة و ازداد الناس حبا للغة العربية بقدر حبهم للإسلام و احترامهم للعربي لسمو الخلق عنده، و منذ فجر الإسلام في مكة في القرن السابع الميلادي إلى عام 1232 الميلادي من القاهرة إلى دولة موسى بيك (موزامبيك) و من مكة إلى داكار أصبحت العربية لغة الدواوين و التجارة و الأسواق في كافة الممالك الإفريقية ما عدا المنطقة الجبلية من إثيوبيا لفترة ما، و كما أصبحت اللغة العربية اللغة الوحيدة للخرائط الجغرافية للقارة، و لهذا عند ما توجه المستكشفون الأوروبيون إلى إفريقيا احتاجوا إلى:

1- مجسمات إفريقيا و كانت كلها بالعربية

2- مترجمين من اللغات الأوروبية إلى العربية

3- وثيقة أمان من ملوك إفريقيا باللغة العربية لأن الأمراء و الولاة و القواد في الثغور لا يفهمون إلا العربية و كان ربان السفن من المستكشفين الأوروبيين يرفعون فوق سفنهم علما مكتوب عليه (نحن متجهون إلى دار الإسلام)، و أحيانا يكتبون عليه (دار المور) أي العرب، و ما دفعهم للتعامل مع اللغة العربية بهذه الصورة إلا تقدم و رسوخ و تجذر اللغة العربية في القارة، و كذلك الحضور العربي، و في نهاية القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر بعد تغلغل القوات الأوروبية في القارة تراجعت اللغة العربية أمام البرتقالية ثم الإنجليزية و الفرنسية و الإسبانية في الإدارات و التعليم الرسمي و الدواوين الرسمية و إن ظلت اللغة العربية اللغة المحببة في قلوب ستمائة مليون إفريقي من مليار عدد قاطني القارة اليوم، و بالرغم مما تعرضت لها هذه اللغة من الضربات فإنها تظل اللغة الوحيدة التي تملك مقومات الانبعاث لتكون لغة الأمم الإفريقية و القارة -إن شاء الله-.

**بدايات انتشار اللغة العربية في تشاد**

إن ملخص بدايات انتشار اللغة العربية تعود إلى بدايات اتصال العرب بالقارة الإفريقية خصوصا بعد انهيار سد مأرب باليمن، و وصلت إلى تشاد قبائل كثيرة من جزيرة العرب من الحمير و الكندة و بني فزارة و الخزام و بني وائل و القرعان و المهرية، و أسس اليمانيون المملكة السيفية المشهورة التي قلب اسمها إلى إمبراطورية كانم برنو الإسلامية أو مملكة كانم الإسلامية في حدود عام 216 الميلادي و كان الذين أسسوا المملكة السيفية اليمنية من أهل الحضر استخدموا اللغة العربية في مراسلاتهم مع جيرانهم و مع العالم الخارجي خصوصا في العهد الإسلامي كالتي كانت بين المملكة السيفية و أمراء نورماندية و مصر و سعد في ذلك الحضور العربي المكبر في أرض ما يعرف بتشاد اليوم و دخول المبكر للإسلام في القرن الأول من الهجرة (666م).

## وضع اللغة العربية في تشاد من عام 666م إلى 1894م

شهدت اللغة العربية تطورا نوعيا بعد اعتناق المملكة السيفية اليمانية الإسلام في عام 666م، فأصبحت رسميا لغة الدواوين و لغة التعليم الرسمي بعد ظهور اهتمام بالغ بالتعليم و إنشاء المؤسسات التعليمية في أرجاء البلاد المفتوحة، و كما أنها لغة التجارة و الأسواق الدائمة و الموسمية و لغة التأليف و الإعلام، و

استخدمتها الأمم و القبائل التي اعتنقت الإسلام و لم تتقن العربية إلا حرفها مثل الفلاتة و عموم سكان صحراء تشاد حسب المصادر العربية و الأجنبية المتوفرة، و ظلت العربية أم اللغات و لغة الدولة منذ 666م – 1894م دون منازع إلى وقت وصول القوات الفرنسية في عام 1894م كانت بداية نكبة اللغة العربية في دولة تشاد.

## العربية في ظل الاستعمار الفرنسي من عام 1894م – 1960م

عندما وصلت القوات الفرنسية إلى تشاد عام 1894م في الجزء الجنوبي من البلاد وضعت سياسة القضاء على الإسلام و اللغة العربية و إجبار القبائل الوثنية في الجنوب للعمل في إزالة الغابات الاستوائية لزراعة القطن، و واجهت فرنسا مقاومة شديدة من قبل المسلمين و دامت هذه المقاومة لمدة سبع سنوات، و في نهاية هذه المقاومة قامت فرنسا بإلغاء اللغة العربية و تأسيس أول مدرسة فرنسية رسمية عام 1908م في مقر مملكة كانم الإسلامية بماو في شمال تشاد و إقرار اللغة الفرنسية اللغة الرسمية للبلاد و ظهرت معارضة شديدة من المسلمين على هذه الإجراءات و رفض المدرسة الفرنسية و فسرت فرنسا تلك المعارضة و ذلك الرفض للمدرسة الفرنسية تحريض من علماء المسلمين، فقامت بجمع أربعمائة عالم و قتلتهم في مذبحة كوكب أي مذبحة الساطور الآلة التي استخدمتها للقتل حتى لا تنتبه الأهالي إذا استخدمت

السلاح الناري، و نقل كل ما وقع في أيديهم من التراث العربي المكتوب إلى متحف لوفر قسم الوثائق الإفريقية لمحو آثار اللغة العربية، و لكن الشعب التشادي العربي قاوم هذه السياسة، و الشيخ عليش عووضة أنشأ المعهد العلمي عام 1942م، و سلك المسلمون مسلكه و ازداد الناس انصرافا عن المدرسة الفرنسية، مما اضطرت الحكومة الفرنسية إنشاء التعليم المزدوج الفرنسي العربي حتى تمرر الفرنسة، و نجحت في هذا نوعا ما و لكن أظهر هذا القرار قوة اللغة العربية في تشاد و مكانتها في قلب الأمة، و استمرت فرنسا في عدم الاعتراف باللغة العربية رسميا بالرغم من أنها وسيلة التفاهم الوحيدة بين كافة أبناء تشاد بالرغم من تعدد الأعراق و اللهجات و الأديان فيها.

**اللغة العربية في المواثيق الوطنية و الدساتير في تشاد منذ الاستقلال إلى اليوم**

تم إعلان عن تأسيس الجمهورية في 28 نوفمبر 1958م، و في عام 1959م تم وضع دستور لتشاد تحت الإدارة الفرنسية و لكن هذا الدستور لم يشر إلى اللغة العربية، و في عام 1960م تم إنشاء القانون الدستوري رقم 1860 في 28 نوفمبر 1960م سلت عن القضية اللغوية و في 16 أبريل 1960م تم إنشاء القانون الدستوري رقم 262.

و في الفقرة الأولى المادة الأولى أشار إلى أن اللغة الرسمية لتشاد هي الفرنسية، و هذا أثار غضب المسلمين و العرب في تشاد في عام 1975م، قام اللواء فليكس مالوم بانقلاب ضد الرئيس تومبلباي و عطل الدستور، و في 5 يونيو 1975م أصدر المرسوم الرئاسي رقم 4 تحت عنوان (تحديد قواعد المساواة العامة)، و لكن لم

يفكر المرسوم في المساواة بين الفرنسية و العربية، و ضغطت ثورة المسلمين في شمال البلاد على الحكومة و نزعت منها عدة مدن هامة في الشمال، و كانت مواثيق الثورة تشير إلى أن اللغة العربية و الفرنسية هما اللغتان الرسميتان لدولة، و في عام 1978م تم إنشاء الميثاق الأساسي لجمهورية تشاد المنبثق من اتفاقية الخرطوم ليوم 17 سبتمبر 1977م بين الثوار و الحكومة، و أشار هذا الميثاق في الفقرة الرابعة و العشرين إلى أن لغات تشاد الرسمية هي العربية و الفرنسية، و نزعت حقها من الظالم بعد70 سنة، في عام 1982م بعد انتصار حسين حبري على قوكوني وداي عطل الميثاق الأساسي و أنشأ الميثاق الأساسي لعام 1982م و نص في الفقرة الأولى على أن العربية و الفرنسية هما اللغتان الرسميتان لتشاد، و في 10 فبراير 1989م ألغي الميثاق الأساسي لعام 1982م و وضع دستور عام 1989م و نص في المادة الأولى الفقرة السادسة على أن لغات تشاد الرسمية هي العربية و الفرنسية، و في عام 1990م الرئيس إدريس ديبي إتنو يطرد حسين هبري خارج البلاد، و في 28 يناير 1991م أعدت الحكومة التشادية الميثاق الوطني الجديد، و نص في مادته الرابعة على أن اللغة الفرنسية و العربية لغتان رسميتان لتشاد، و في 5 أبريل 1993م تم إعداد الميثاق الوطني الانتقالي، و نص في المادة الرابعة على أن العربية و الفرنسية هما لغتان رسميتان لتشاد، و في دستور 32 مارس 1996م الذي تم إجراء استفتاء عام حوله و توصيات المؤتمر الوطني المستقل لعام 1993م نصت المادة التاسعة على أن اللغات الرسمية لتشاد هما العربية و الفرنسية، و هذا الدستور هو الساري المفعول إلى اليوم، و كان انتصارا باهرا للغة العربية في دولة غير عضوة في جامعة الدول العربية، و سنتناول هذه

الفقرة بشكل مفصل في البحث –إن شاء الله– و التأريخ يحسب للرئيس إدريس ديبي إتنو في هذا الأمر و كذلك أغلبية الشعب التشادي، و لكن أين العرب و الدول العربية؟

**الثنائية اللغوية: الواقع و المأمول**

إن ملخص هذه الفقرة هو أن منذ عام 1996م أصبحت تشاد بصورة رسمية دولة ذات لغتين رسميتين وفق المادة التاسعة من الدستور، و لكن التطبيق الفعلي بين اللغتين لم يتم في الواقع خصوصا في إدارات الدولة، لقد بذل أنصار اللغة العربية جهودا كبيرة حتى تم الاعتراف باللغة العربية، و كان الانتصار له اعتباره، و لكن بقيت أمامهم معركة أخرى و هي معركة المساواة الحقيقية بين اللغتين في الوسائل التعليمية الرسمية و الإدارة و وسائل الإعلام الرسمية و سأشير إلى هذه المسألة في البحث بشكل مفصل إن شاء الله، و لكن من المبشرات أن رئيس الجمهورية أصدر مرسوما رئاسيا يدعو إلى المساواة في كافة المؤسسات التعليمية و دعم المسألة بإرادة سياسية قوية، و نحن نشكره على ذلك و يبقى العمل حسن تطبيق الدستور و المراسيم و اللوائح و إعداد الكادر و جمع الإمكانات اللازمة و إذا تعاون الجميع في هذه المسألة فإن فرص نجاح الثنائية اللغوية كبيرة جدا و تطبيق المساواة بين العربية لغة الشارع التشادي و الفرنسية لغة إدارة تشاد إذا دام 20 سنة كفيل بإلغاء الفرنسية و تقدم الثقافة العربية و تراجع الثقافة الفرنسية لأن الناطقين بالعربية بلغت نسبتهم 80% من السكان و الناطقون بالفرنسية تبلغ نسبتهم 17% من السكان.

**خاتمة الملخص: مقترحات**

1- دعم دولة تشاد بالإمكانات الفنية و المادية لحسن تطبيق الثنائية من قبل الدول العربية و المنظمات العربية و المجتمع المدني

2- فتح مجال خاص لقبول الطلبة التشاديين في الجامعات العربية و تدريب الكادر اللازم

3- دعم مشروع المركز الثقافي للبحوث و الدراسات الإفريقية و العربية خصوصا الأقسام الأكاديمية و التعليمية منه

4- دعم التعليم العربي الخاص

5- دعم الوسائل الإعلامية العربية في تشاد مثل إذاعة البيان و غيرها

6- دعم حركة تعريب المناهج في الجامعات و المعاهد طالما الدولة دعت إلى ذلك و إنها فرصة سانحة مثل ما حدث في كلية فرشا للعلوم التطبيقية و هو نموذج ناجح

7- دعم الحركة الثقافية العربية و التأليف و ترميم المخطوطات في تشاد

8- إنشاء هيئة عربية عليا لدعم اللغة العربية و تطبيق الثنائية اللغوية في تشاد

9- إنشاء مطبعة عربية فرنسية في إطار المركز الثقافي للبحوث و الدراسات الإفريقية و العربية

**المراجع:**

1- ديوان الدساتير و نصوص بقوة الدساتير لجمهورية تشاد من عام 1958م-2005م، مطبعة سيفود، عام 2010م، أنجمينا، تشاد

2- صبح الأعشى للقلقشندي

3- الإسلام و حياة العرب في إمبراطورية كانم برنو للشيخ إبراهيم صالح، مكتبة القاضي شريف، كانو، نيجيريا، عام 1976م.

4- تأريخ وداي فصل من كتاب الصحراء و السودان للرحالة الألماني غوستاف ناختغال،

5- مختارات من الأدب التشادي باللغة العربية لعبد الله مصطفى، دار مؤتمر الكتاب التشاديين، 2009م